

إشكالية ترجمة أدب الأطفال بين المقاربة النظرية والممارسة التطبيقية

د. باية لكال خوجة

أستاذة محاضرة: قسم الترجمة

جامعة الجزائر 2

Abstract:

The translation of children's literature has been long neglected and overlooked for a number of constraints that differ from one culture to another. This topic has gained a problematic dimension as these translated books are oriented toward a young receiver, the child with back authority, that of the adult.

Therefore, my paper will focus on such elements as the kind of strategy that the translator should adopt, the way he tests acceptability of the source text into the target language, and the establishment of norms in children's literature that may be rendered in the target text.

Besides, this paper shall explore whether acceptability may be shaped by the stylistic effort or by any other elements such as moral values. And finally, one may ask : can we speak of educational and didactical aims in translating children's literature whereby not only language is transferred but culture as well ? All this issues will make the matter of my presentation and rise answers as well as new questions.

لم تكن الكتابة والترجمة الموجهة إلى الأطفال حدثاً مهماً، لأنها ارتبطت بمجموعة من التناقضات تنوعت دائماً من ثقافة لأخرى (55 : Lathey Gillian 2006). وقد أصبحت هذه القضية ذات إشكالية لأن كتب الأطفال هي في الأصل موجهة إلى عبقرية قارئ خاص هو الطفل، وإلى سلطته الخلفية التي يمثلها الإنسان الراشد. إن الكتابة الإبداعية للأطفال، مهمة حساسة لها أثرها المميز، لأنها تحمل قضية محددة الأهداف، واضحة المعالم تستدعي رؤية فنية غنية باعتبارها تخاطب الأطفال بمستويات عقلية متباينة، تخاطب متلقين ليس من السهل التواصل معهم إن لم نكن نفهمهم. ولهذا استقر رأي علماء التربية وعلماء النفس على أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال سواء كان ذلك قيماً دينياً أم أخلاقياً أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية، أو الكشف عن جوانب معرفية تشبع حب الاستطلاع لدى الطفل وتتمى خياله في استكشاف عوالم مختلفة حوله. فلا يقرأ أدب الأطفال لهدف التسلية أو المتعة فحسب، وإنما هو وسيلة تربوية واجتماعية (الموقف الأدبي، ع386، 2003). وقد تؤثر هذه الخاصية الثنائية على طريقة الكتابة والترجمة معاً.

إن حديثنا في هذه المقالة سيتمحور حول ترجمة النص الأدبي القصصي الموجه إلى الأطفال والذي يطرح أمام دارسي هذا النوع من الترجمة مجموعة من الأسئلة التي تعبر عن انشغالات المترجم في كيفية توظيف الأساليب والطرق التعبيرية لتقمص هذا النوع التعبيري الموجه للصغار، وذلك بمراعاة تامة وكاملة لأهداف النص الطفولي المتمثلة في الهدف الجمالي الذي ينمي الذوق الفني للطفل ويعزز إحساسه به، والهدف التربوي الذي يحبب القيم الإيجابية للطفل مقابل القيم السلبية، إلى جانب الهدف المعرفي الذي يثري المعارف على اختلاف أنواعها من علوم وتاريخ وتكنولوجيا الخ... (الموقف الأدبي، ع441، 2008).

ونظراً لهذه الوضعية الخاصة بالطفل ينبغي على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار أهمية القارئ "الجمهور" الهدف Target audience مادام النص الأصلي يفرض مميزات الخاصة ومعايير الثقافية على المترجم، مما يؤدي إلى تحديد إستراتيجية الترجمة. وفي هذا الصدد يكون مترجم أدب الأطفال حراً نسبياً في معالجة النصوص. وذلك باعتماده على مبدئين أساسيين في عملية الترجمة الموجهة إلى الأطفال. أولهما تنظيم النص الأصلي وتقريبه من فهم ومستوى الطفل بمراعاة العقدة The plot والشخصيات واللغة وتكييفها مع قدرات الطفل لتمكينه من قراءة النص وفهمه له بالتوافق مع مبادئ وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه، فيما يتعلق بالأمور الجيدة للطفل وماذا يستطيع هذا الطفل أن يقرأ ويفهم ويحترم.

ولهذا نجد مقاييس الترجمة التي تحدد اختيار الكتب المعدة للترجمة وصياغة النص الهدف تعتمد على هذه الشروط. ويبدو أن المقاييس الترجمة ليست بالضرورة مماثلة لتلك التي تتشكل في النص الأدبي الطفولي المنقول إلى اللغة الهدف؛ لأن ذلك مرتبط بالحرية الإبداعية.

تتراعي الترجمة الموجهة إلى الأطفال ما بين سن السابعة والثانية عشرة الأسلوب والبنية التركيبية للغة، ويعطي الانطباع بانسياب "مرونة" هذا الأسلوب نظرا لاختيار المترجم لنوع من التراكيب والجمل البسيطة ذات الهدف التفسيري الذي يكون في متناول القارئ الطفل، حتى يتحقق لديه التأثير والمقبولية الناتجة عن المقبولية الأسلوبية Stylistic acceptability للترجمة كأن يقوم المترجم بتوظيف الألفاظ الاسمية مقابل الأسلوب والصيغ الفعلية. وفي هذا الصدد نرى بأن مفهوم المقبولية Acceptability يظهر في سلسلة من المقاييس والتوقعات التي تتجلى في اللغة وأسلوب أدب الطفل الأمر الذي يؤدي إلى استقطاب نسبة كبيرة من المقرئية نظرا لطبيعة الأسلوب الانسيابي. لأن التركيز على التأثيرات الأسلوبية في النص المترجم الهدف يعدّ من أولويات الترجمة الطفولية، وأن افتراض توظيف التراكيب المعقدة سوف ينقص من نسبة المقرئية وبالتالي تتدنى المقبولية، بينما تزداد هذه النسبة بتوظيف دينامية أسلوبية يميزها استعمال الجمل والتراكيب البسيطة.

وقد تزداد نسبة المقرئية أيضا في أدب الأطفال المترجم بسبب الأساليب المفضلة عند هؤلاء الأطفال خاصة الذين تعوزهم إمكانية القراءة المضبوطة Perfect Reading وقلة تجارب الحياة التي تؤهلهم إلى التفاعل مع العناصر الغريبة كما يحدث ذلك مع الراشدين من القراء، ولهذا يركز المترجم على ما هو متعارف ومتفق عليه في النظام المستهدف Target system. (Toury. G 1980 : 74).

وقد تتحقق المقرئية والمقبولية في أدب الأطفال المترجم عندما يستثمر المترجم، أثناء معالجته للنص الأدبي الجانب التعليمي الذي يتوخى الهدف التربوي محاولا تبسيط الحكمة والشخصيات واللغة القصصية لتقريب الفهم من الطفل القارئ، ولهذا الغرض يعتمد المترجم على خمسة عناصر إفهامية يتبعها في عملية نقله للنص المصدر.

أولاً: أن يكون النص المترجم مشحونا بعوامل الإثارة لجلب انتباه الطفل لأن الأدب الموجه للكبار والمعبر عن النقد والهزاء يمكن تغييره إلى حكاية خيالية بسيطة مادام نموذج الهزاء لا يستوعبه أدب الطفل، إلى جانب توظيف أساليب التشويق بشكل جيد. (الموقف الأدبي، ع400، 2004).

ثانياً: قد يسمح بحذف مقاطع سردية ومشاهد لا تتوافق مع القيم الأخلاقية للطفل المتلقي.

ثالثاً: لا ينبغي أن يكون الموضوع والشخصيات والبنية الفنية الأساسية معقدة كالاستغناء

مثلا عن عناصر التهكم والسخرية Ironical elements

رابعاً: نظرا لاعتماد المترجم على مفهوم أدب الطفل كعملية تعليمية تربوية، فإنه يقوم

بتغيير النص الأصلي بصفة كلية أحيانا بهدف تكييفه مع الفلسفة والثقافة السائدة في المجتمع.

خامساً: ضبط الخصائص الأسلوبية للنص وجعلها تراعي درجة ومستوى فهم الأطفال

له ومدى قدرتهم على القراءة ما يحبونه وما لا يحبونه أو يكرهونه، إلى جانب توظيف المترجم

للطرق والكيفيات التعبيرية التي يؤديها الأطفال والتي تعبر ضمناً عن تضامن المترجمين مع هذه الفئة.

واعتماداً على هذه الخطوات يستطيع المترجم أن يقوم في ترجمته بالتركيز اللغوي والأسلوبي والإيقاعي على الصورة الفنية التي تعتمد على حواس الطفل الذي ينجذب إلى الألوان التي توضح المعنى وتقربه إليه بالإضافة إلى الإلحاح على الذوق الذي يشكل بدوره الصور الفنية في النص الأدبي الطفولي للدلالة على طعم معين مثل لفظة "حلو"، "مر"، "عذب"، "حامض"، "مالح"، وتأتي لفظة حلو ومشتقاتها في طليعة الأذواق التي توحى بالشيء الجميل والمتعمق. كما لا يستطيع المترجم أن يتهاون بحاسة الشم التي تقرب دورها الصورة إلى ذهن المتلقي الصغير وأغلبها الصور الشمية للروائح الطيبة، هذا إلى جانب مراعاة المترجم أيضاً للحجم الذي يفضلها الطفل خاصة الأحجام الصغيرة للأشياء والأشكال القريبة من عالم الصغير. أما الحركة فقد يؤدي إغفالها من طرف المترجم إلى عدم توظيف أساليب إيقاعية حيّة قد تفقد الصورة الفنية الحيوية والجاذبية والتشويق، التي ترتبط في الغالب بمواقف اللعب والنشاط لدى الأطفال. هذا إلى جانب تهمين المترجم لعنصر الصوت الذي يتصل بحاسة السمع كصوت الحيوانات والطبيعة والآلات الخ... (الموقف الأدبي، ع441، 2008).

وينبغي على المترجم أيضاً أن يحافظ على الأمانة Faithfulness، واضعاً في حسابه الطفل القارئ وأخذاً بعين الاعتبار اهتماماته وقدراته في القراءة حتى يجعل النص مناسباً له. ولهذا يجب عليه أن يحافظ على خصوصية النص الأصلي ويترجمه بطريقة يكون فيها النص مألوفاً لدى الأطفال، حتى ينسجموا مع سياقه الاجتماعي والثقافي، ويحدث ذلك بواسطة عملية التكيف السياقي أي تكيف السياق الثقافي للنص المصدر مع السياق الثقافي للنص الهدف. ويمكن تسمية هذه العملية بالملاءمة عوض المقبولية Adequacy instead of acceptability وهو مفهوم يتقيد بالأمانة للنص الأصلي، ينظر (Klinberg, 1986)

ومن جهة أخرى هناك مشاكل قد تواجه مترجم أدب الأطفال بناء على تحديده لأنماط النصوص، حيث نجد أن هدف الترجمة في النصوص التعبيرية Expressive texts منها الأدبية، هو المحافظة على التنظيم الفني لأسلوب النص الأصلي أثناء نقل المحتوى. فلا ينبغي أن تتوقف وظيفة الترجمة على المطابقة بينها وبين النص الأصلي، وإنما يجب التركيز على التجاذب بين اللغة والثقافة في النص فتصبح الترجمة عبارة عن عملية تحويل لسانية وثقافية، فالحدود الثقافية هي التي تشكل صياغة تركيب النص. ولهذا لا يستطيع المترجم أن يقوم بترجمة الأشكال التعبيرية بطريقة تقليدية عمياء، وإنما عليه أن يقوم باستلهاها وإسقاطها على أشكال اللغة المستهدفة وهو بذلك يترك انطباعاتاً مماثلة على القارئ الطفل، ينظر (Reiss, 1982)

مثال: إذا كانت حكاية الجنيات والساحرات Fairy tales هي جزء لا يتجزأ من التقاليد الثقافية للنص الأصلي، ينبغي على النص المترجم أن يراعي هذه الخصوصية، وإذا كان العكس،

وكانت القصة عبارة عن صور للتسلية بالنسبة للصغار، لابد على المترجم أن يهتم بالأسلوب والصيغ التي يقدمها في النص المترجم. وعليه إذن، أن يساير العصر لأن مدارك الطفل اليوم مع الثورة المعلوماتية والتقنيات الإعلامية والعلمية هي أوسع بكثير من مدارك طفل الأمس الذي كان يقتنع بقصص الغولة ومقيدش وليلى والخروف والذئب الخ... (الموقف الأدبي، ع422، 2006).

ومن الضروري التأكيد على جعل الترجمة عبارة عن حوار مع النص الأصلي ومع الطفل القارئ، ولهذا الغرض يطلب من المترجم أن يعطي حياة جديدة للنص حتى يجعله في متناول الأطفال، وهو بهذه الرؤية يركز أيضا على الفصاحة والأداء الإيقاعي أثناء القراءة الجهرية لقصص الأطفال التي تمكن المترجم من معاينة التردد والتلعثم الذي يقع فيه القارئ الطفل للجمال التي تشكل له عقبات متعددة الأوجه في الفهم والنطق والصياغة والتراكيب. (Oittinen. R 2000).

ويمكن القول بأن هناك تقاطعا بين المترجم وقارئ النص في اللغة الهدف ألا وهو الطفل الذي يقع في قلب النقاش حول الاختلافات الثقافية بين النص المصدر والنص المترجم. ومن هنا تشكل طبيعة التبليغ السردية المتعلقة بالطفل الاهتمامات التربوية وآراء الراشدين المسبقة عما يريد الأطفال قراءته، والأثر العاطفي الذي يحدثه الانطباع عن النصوص. كما أن هناك تفاعلا داخليا Inter play يتشكل بين المترجم والطفل القارئ من خلال البحث عن طريقة تفكير الطفل ومدى تجاوبه مع الكلمات والألفاظ ذات الإيقاع والتكرار غير الممل واستخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وبناء الجمل القصيرة والمعبرة والتصويرية التي تجعل النص محببا لدى الأطفال تماشيا مع الفئة العمرية لهم. وهكذا، ينبغي على الترجمة الموجهة إلى الطفل القارئ أن تثير الجانب الإبداعي للنص المترجم وحتى تحقق تجاوب القارئ الصغير معه جماليا، وتحدث نوعا من التفاعل الدينامي إلى جانب التركيز على العامل البصري في الترجمة والمتمثل في الصورة وإعطاء أهمية للأداء والقراءة الجهرية التي يقوم بها الأطفال للنصوص، مما يؤثر على عاملي المقروئية والمقبولية عندهم. وتتبع إشكالية ترجمة الصورة في أدب الأطفال من الخصوصية التي يتمتع بها هذا النوع من الأدب، الذي يحمل في طياته قوة تعبير الصورة التي تفوق أحيانا قوة الكلمات، خاصة بالنسبة للطفل الذي لا يستطيع أن يقرأ بعد، ولهذا يجد المترجم نفسه أمام رسالة مزدوجة متكونة من عناصر لغوية تظهر في النص وعناصر غير لغوية تمثلها الصورة، وقد تتعامل ترجمة الصورة في أدب الأطفال مع عدة عناصر تجمع بين اللفظي والمرئي والقراءة الجهرية loud voice، وبهذه العملية تصبح الترجمة عبارة عن إعادة كتابة النص الأصلي لجمهور اللغة الهدف Target language الذي يمثلته الأطفال، كما تهدف أيضا إلى إعادة القراءة، فعند ترجمة أي كتاب موجه للأطفال، فإن ذلك يتطلب لغة جديدة وثقافة جديدة ومثاق جديدة في اللغة الهدف، تتبلور الكلمات والألفاظ أثناء الحوار الذي يؤدي إلى إثارة القيم

الغنية الأخرى، فيبرز أصواتاً متعددة في العمل الأدبي الذي تتوزع وظائفه ما بين الكاتب والمتلقي والناشر وتستمر في تفاعلها بالإضافة إلى تأثر المترجم بذاتيته الشخصية وأيديولوجيته التي تشكل لديه صورا خاصة عن الطفل ووضعيته في المجتمع، فهو بذلك يتبنى إستراتيجية معينة في الترجمة تأخذ بعين الاعتبار وظيفة النص المترجم الذي سوف لا يهدف من ورائه القراءة الصامتة والنظر في الصور، وإنما القراءة بصوت عال أيضا، علما بأن ترجمة أدب الأطفال يشمل نوعان من القراء، أي متلقيان، المتلقي الطفل والمتلقي الراشد الذي يكتب ويترجم ويشترى ويبيع ويختار الكتب للأطفال.

يحتاج النص المصور إلى اهتمام خاص ودراسة متمعنة ولغة مختارة، فلو حدث مثلا أن قصر المترجم في اهتمامه بالصورة أثناء نقله للنص، فإنه بهذا الموقف قد حدّد وقّلّ من حركية وذكاء الطفل متلق صغير يتفاعل مع النص الأصلي أثناء ترجمته، ويمكن اعتبار لغة الصور أنها لغة عالمية قادرة على تجاوز الحدود اللغوية والثقافية مما يعطي أهمية قصوى لمرحلة اختيار النصوص التي تترجم للأطفال، وذلك بمراعاة اهتمامهم وميولهم. لكن مهمة المترجم تصبح معقدة وشائكة عندما تتضارب الصورة مع النص أو الكلمات وتسردان حكايات مختلفة، أو عندما تتغلب كثافة النص المكتوب عما تقدمه الصورة.

لأن قراءة المترجم للنص الأصلي في لغة المصدر source language مرتبطة بمدى تأثرها بالصورة، ولهذا فليس من السهل عليه أن يفك العناصر التي تشكل ذلك التعقيد، ومن هنا تأتي الفاعلية التي تجعل من الصورة أداة وقوة في الإبداع اللغوي بالنسبة للمترجم الذي ينبغي أن يستنطقها أثناء ترجمته، وبعبارة أخرى، إن الفراغ الموجود في النص الأصلي ينبغي ملؤه من طرف المترجم في النص الهدف، بواسطة نقل ما يوجد في الصورة بأساليب تعبيرية وخطابية تعتمد على أدق التفاصيل الموجودة في تلك الصورة، بينما يعطي انفتاح الصورة والنص إمكانية كبيرة للمترجم للدخول في تأويلات متعددة لإعادة سرد النص. ومن المواضيع التي تساهم الصورة في تجسيد معانيها نذكر كتب اللعب والصور المتحركة والقصص المجسدة في الصور، والأشرطة المرسومة والتي تجمع كلها بين الأحداث والخيال، بين الممكن وغير الممكن، وأحيانا هناك نصوص وصور تحطم القواعد التقليدية للكتابة، بحيث يلجأ كتّابها إلى توظيف التهكم والسخرية والتهجين بهدف جذب القارئ الصغير. فالكلمات هنا والصور تحمل عدة وظائف تساند بعضها البعض للتعبير عن معنى واحد بواسطة التوافق الذي يمثله النشاط الواضح في الصورة والكلمة، وفي المقابل نجد الصورة المجسدة في القصة تعطي أحيانا معلومات إضافية والتي لا يمكن التعبير عنها بالكلمات، كالتفاصيل عن المكان والزمان والشخصيات والعلاقات القائمة بينها، كما تصبح الصورة في بعض الأحيان عبارة عن أسلوب يرمز إلى العالم الواقعي، والعالم اللاواقعي في سرد الأحداث.

والظاهر أن ترجمة الصورة المرئية من دعائم الوسائل السمعية البصرية في عصرنا، ومن وسائل تقنيات الكتابة لأن استنطاقها بكل محتوياتها وأشكالها وأساليبها أصبح ضروريا في حياة الصغار وحتى الكبار، كترجمة إشارات المرور، وقوائم الطعام في المطاعم وغيرها... إنها عملية تحتاج تجسيد وتقديم معطيات هذه الصورة بعد نقد تحليلي للنص المكتوب في الزمان والمكان، وفي أبعاده الثقافية وشخصياته وتفصيله الدقيقة ورموزه وألوانه لإخراج ترجمة سليمة ومعبرة ودلالية، إنها تستدعي من المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار أهمية القارئ الجمهور Target audience مادام النص الأصلي يفرض مميزاته الخاصة ومعايير الثقافية على المترجم، الذي يحدد مسبقا إستراتيجية لذلك. وفي هذا الصدد يكون مترجم أدب الأطفال حراً نسبيا في عملية الترجمة الموجهة للأطفال، أولهما تنظيم النص الأصلي وما يحمله من صور ومحاولة تقريبية من فهم ومستوى الطفل بمراعاة العقدة the plot واللغة والشخصيات ومحاولة ملاءمتها مع قدرات الطفل لتمكينه من قراءة النص بالتوافق مع مبادئ وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه.

يؤدي هذا الموقف في الترجمة إلى استقطاب العناصر الأسلوبية في النص الهدف (المترجم)، وقد تزداد نسبة المقروئية readability في أدب الأطفال المترجم عندما يستثمر المترجم أثناء معالجته للنص الجانب التعليمي الذي يتوخى الهدف التربوي، محاولا تبسيط العناصر القصصية، ومن أجل ذلك، يتبنى المترجم خمسة عناصر إيهامية في نقله للصورة والمكتوب في النص المصدر Target text

وآخرا نقول إن الاهتمام بترجمة أدب الأطفال تعبير عن الاهتمام بالواقع والمستقبل معا، وهو دليل على الوعي الحضاري وفتح الشخصية ووعيها لذاتها في مواجهة التحديات. وبهذا تكسب الترجمة المتميزة والناجحة لأدب الأطفال، الطفل الثقة فيما يقدم له فيشعر بأن الذي يتحدث إليه هو طفل وليس شخصا راشدا، كما تجعل هذه الترجمة من أطفال العالم في مختلف مواقعهم الجغرافية وانتماءاتهم الثقافية والحضارية متضامنين ومجتمعين في تجربة طفولية واحدة لا حدود ولا فوارق بينهم.

المراجع العربية والأجنبية

- 1- الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 386، سنة 2003
- 2-الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 388، سنة 2003
- 3-الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 400، سنة 2004
- 4- الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 422، سنة 2006
- 5-الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 441، سنة 2008
- 6- مواسي فاروق، اللغة في أدب الطفل، مؤتمر الأطفال لفلسطيني الداخل، مركز ثقافة الطفل، دياكونيا السويدية، 2006.
- 7- House. J (1977), A model for translation, Quality assessment. Tubingen, Gunter narr.
- 8- Klinberg. G (1986), Children's fiction in the hands of the translators. Malmo CWK Gleerup.
- 9- Lathey Gillian (2006), The translation of children's literature, A reader. Multilingual Matters LTD Clevedon, Buffalo, Toronto
- 10- Oittinen.R (2000), Translating for children. New York, Garland.
- 11- Toury. G (1980), In search of theory of translation. Porter institute for poetics and semiotics.